سيـرة فكـــرية (١)

قال بوش الابـن في تصـريح لـه: (إما أن تكونوا معنا أو ضدنا).

هذه القاعدة البوشية عمل بها مَن أصبح يعـيش بـين النـاس بـروحٍ قتاليـة، يُحَقِّـب النـاس، معنـا أو ضـدنا، في عمليـة جـائرة للغوص في مقاصد الأرواح، ومعاقد النفوس.

وأذكر حوارًا جرى بيني وبين رجلٍ يزعم أنه صديقي..

قـال لـي: أتعبتني يا أخي.

قلت لـه: أعوذ بالله، ممَّ؟!

قــال: لم أعـرف لـك تصـنيفًا أصنفك بـه بـين النــاس.

قلــت لــه بعـد طـول تأمـل في كلامـه ومقاصده: أنا أصنف لـك نفسي لتـرتـاح من مأثم ذلك ومغرمه ومغنمه إن كان فيه مغنم.

فأنا مخلوق بشري.. سمّاه والده رحمه الله (محمد).. كاد يمـوت في صغره بـأمراض تعـاودت عليـه شفاه الله منها بفضله ثم بأم رءوم تحنو عليه وجدٍّ حـاذِق كـواه في قفـاه.. فأفـاق صـاحبك للحياة من جديد بتيسير الله وفضله.

وكَبُر الصبي وشَـبَّ عـن الطـوق وهـو في ظل ظليل من والده الكريم رحمه الله ولزمَ حِلَق القـرآن الكـريم في صـباه حـتى خـتم علـى شـيخه الباكستاني عبد الـرحمن قاضي في مرحلـة الجامعة، وتعلم علـى علمـاء الريـاض ولـزم مجالسهم خاصةً الإمام عبد العزيـز بـن بـاز والشـيخ عــائض بــن فــدغوش الحــارثي رحمهمـا الله والشـيخ عبـد الله بـن صـالح القصيّر حفظه الله.

مرّت بالشاب (محمـد) عواصـف فكريـة تمـر بالجيل بطبيعة المرحلة العمرية، ولكـن كـان توفيق الله ثم الناصح الصادق والدي رحمـه الله رحمةً واسعةً سـدًّا منيعًـا مـن الانـزلاق فيما يعارض شرع الله فكريًّا ومنهجيًّا.

وقـد كـان لـه موقـف مـن جهيمـان وأتبـاع حركته فقد حاولوا زيارته في منزله وعمـري إذ ذاك سُنَيّات، فطردهم وأغلظ لهـم القـول، وقال لهم كما كان يروي لي تلكم القصة بكل براءتـه المعهـودة رحمه الله: «لـو كـان فـيكم خـير كنتم عند ابن باز في دروسه أو كـان ابـن بـاز معكم عند بيوتنا...».

وكنتُ أكبر فيه هذا التوفيق الذي هُدِي إليـه ورُزِقَه من غير حولٍ ولا قوة.

وأذكر أنـني كنـتُ أناقشـه رحمه الله ويحتـد بيننـا النقاش غفـر الله لي في موقـفٍ مـن شـخصٍ يظهـر نجمــه ويــبرق اسمــه في الإعــلام الدعوي، وقد يكون له فُقّاعة إعلامية يطفو بها اسمه علـى سـطح مكتـب المجتمـع.. فـإذا أراد أن يُنهي نقاشنا قال لي –بكـل بـراءة–: «هل هو أعلم أم ابن باز؟!».

قلـت: لا شـك شـيخنا البـاز أعلـم وأحكـم، وأدبه وجادته أسلم.

عندها يضحك ضحكة المنتصر ويقول:

قـال لـك: «لا تتعـدى ابـن بـاز، مـن دخلـت الرياض يا ولـدي وعمـري قرابـة العشـرين إلى اليوم وهو ما أختلف مثل غيره...».

فكان والدي الغالي رحمه الله يُعلّقني من حيث أشعر أو لا أشعر بالنموذج البازي مما جعلني أنقطع عن كل المؤثرات الدعوية إلا ما كان مـن بـاب شـيخنا الإمـام ابـن بـاز رحمـه الله رحمـةً واسعةً؛ ما شكَّل عند الطالـب الجـامعي قالبًـا معرفيًّا عرفتـه فيما بعـد مـن خـلال البحث والمطالعة بمنهج أئمة الدعوة النجدية.

وكنت أتأمل حياة شيخنا الإمام وهـو يُزكِّي كل مَن يعمل في السـاحة العلميـة والدعويـة ويؤكد على لزوم السـنـة النبويـة وينكـر مـا كان من مخالفات شرعية لجادة سلف الأمة بـالتي هـي أحسـن طـورًا بالزيـارات وطـورًا

سيرة فكـرية (٢)

بالاتصالات وطورًا بالمكاتبات وطورًا بالردود.. حتى علقَ في ذهني منهجه وحُسن استصلاحه لَمن حوله وجمال تدبيره لما منحه الله به من علمٍ وحُسن خُلُق.

وكنتُ ألتزم صلاة الظهر كل يوم ثلاثاء في مسجد الإفتاء للسلام عليه وسؤاله عما يُشْكِل عليَّ من عام ١٤١٢هـ إلى العام الذي مات فيه رحمه الله رحمة واسعة، وما أذكر أنني خرمتُ ذلك إلا لمامًا حتى عرفني باسمي وبتخصصي وبجامعتي وبوظيفتي رحمه الله رحمة واسعة، ولا أنسى موقف أبي غفر الله له ضحى يوم الخميس الذي قُبض فيه الشيخ كيف تردد في إخباري وكيف واساني وكفكف عَبراتي ووعظني حينها بقوله: «إن كنت تحبه فسِرّ على طريقه..». ويا لها من وصيةٍ تلمع في سماء حياتي كل ما يمر عليَّ موجبٌ لها.

وما زلتُ يا صاحبي أجتهد في قفو أثر هذا الرجل وأسير على جادته امتثالاً لقول الله: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ ولقول رسوله ﷺ: «ليس منّا مَن... ويعرف لعالمنا حقه»

[أخرجه أحمد في مسنده (٤١٦/٣٧)، برقم (٢٢٧٥٥)].

وامتثالاً لوصية والدي (سرّار) رحمه الله رحمة الأبرار: «إن كنتَ تحبه فسِر على طريقته».

ومع ذلك أحببتُ البليغ لبلاغته والكاتب لقلمه والمُشاكِل لُمشاكَلته، ولم أقبل منهم كل شيء بل كنتُ أخسر بعضهم جرّاء النصيحة الصريحة إذا رأيتُ منهم ما يخالف أمر الله جل وعز.

فهل عرفتَ أيها المُصنِّف المُنصِف: مَن أكون؟!

وأنا مع ذا شديد النفرة من التقليد الأحمق والتقليد البليد، وأنتهج الحق ما رأيته وُسعي وطاقتي ولو خالف رأي شيخي الإمام.. الذي طالما سمعته في درسه بجامع سارة، وهو يقول بصوتٍ متهدج: ما وجدتم من كلامي يخالف الكتاب والسنة فاضربوا به عرض الحائط، ويشير إلى جدار المسجد تارةً يمنة وتارةً يسرة.

بقي أن أقول لصاحبي ولكل مُبتلى بأعراض الناس: جعلنا الله ممن يخدم الإسلام وأهله، ونعوذ بالله أن نكون ممن يستخدم الإسلام وأهله، كما أنني أُشهد الله وملائكته وجميع خلقه بما فيهم أنتَ أنني أبرأ إلى الله من كل ما خالف كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأنني لا أفهم الكتاب والسنة إلا بفهم سلفنا الصالح رحمهم الله، ومَن سار على دربهم من أئمة الدعوة في مملكتنا الغالية، وأنني أحث على الاجتماع على إمام المسلمين ولزوم حِلَق كبار علمائهم، وأحذِّر من أصحاب الأهواء والمُحدثات والبدع سواء العلمية أو العملية أو الاعتقادية أو المنهجية بأي اسم كانت وبأي رسمٍ بانت.

فهل عرفتَ مَن أكون يا صاحبي؟!

أنا مسلم.. جعلتُ من أئمة الدعوة في بلادنا المباركة قدوةً في الفهم والسلوك والمنهاج فسلمتُ من التشتت، والتنمر والتحزُّب، ولله الحمد والمنة.

وفّقنا الله للسير على جادة العلماء الناصحين والأئمة المخلصين، ورزقنا وإياك الانشغال بخواص أنفسنا تهذيبًا، وتأديبًا، وتعليمًا، وعملاً.

والسلام يا صاحبي يغشاك.. ليطهر الله به قلبك. والرحمة ليطمئن بها فؤادك.

د. محمد بن سرّار اليامي